دير القديسة دميانه بالبراري

الأسبوع المقدس

الجزء السابع

يوم الجمعة العظيمة من البصخة المقدسة

بقلم

الأنبا بيشوى

مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري

ورئيس دير القديسة دميانه ببراري بلقاس

☦ مطرانية دمياط وكفر الشيخ والبرارى
ودير القديسة دميانه بالبرارى

الأسبوع المقدس

الجزء السابع

يوم الجمعة العظيمة من البصخة المقدسة

بقلم
الأنبا بيشوى
مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى
ورئيس دير القديسة دميانه ببرارى بلقاس

الكتاب : الأسبوع المقدس–الجزء السابع

يوم الجمعة العظيمة من البصخة المقدسة

المؤلف: نيافة الأنبا بيشوى مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى

ورئيس دير القديسة دميانه ببرارى بلقاس

الناشر : دير القديسة دميانة للراهبات ببرارى بلقاس

الجمع بالكومبيوتر والغلاف: راهبات دير القديسة دميانه بالبرارى

الطبعة : الأولى إبريل ٢٠١٤م

المطبعة : بريما جرافيك للطباعة والتوريدات – ٠٢٢٦٣٧٣١٣٠

رقم الإيداع بدار الكتب :

رقم الإيداع الدولى :

يطلب من دير القديسة دميانة بالبراري، تليفونات رقم:

٢٨٨٠٢١٨(٠٥٠)، ٢٨٨٠٠٣٤(٠٥٠)، ٢٨٨٠٠٠٧(٠٥٠)،

٢٨٨٠٧٦٣(٠٥٠)، ٢٨٨٠٦٧٩(٠٥٠)، ٢٨٨١١٤١(٠٥٠)،

٤١١١١٣٥(٠١٢٨)، ٨٨٨١٣٣٩(٠١٢٨)، ٦٨٨٨٨٥٣(٠١١٤)

فاكس : ٢٨٨٠٠٠٨(٠٥٠) مع تسجيل رسائل.

بريد إلكتروني email: demiana@demiana.org

email: demiana8@demiana.org

يطلب أيضًا من:

مقر الدير بالقاهرة ت: ٢٦٨٤٧٠١٤(٠٢)، ٢٦٨٤٢٤٠٠(٠٢)

ومقر الدير بالإسكندرية ت: ٥٥٦٩٣٨٩(٠٣)

مقدمة

فى الأسبوع المقدس لسنوات سابقة، ألقى أبينا وراعينا الحبيب نيافة الحبر الجليل الأنبا بيشوى للراهبات فى دير القديسة دميانه مجموعة من العظات الذهبية النافعة والعميقة جدًا التى رأينا أن يتم نشرها ليعم النفع الجميع.

هذه العظات تصدر بمشيئة الرب فى أجزاء، وقد صدر الجزء الأول منها وهو "عشية ونهار أحد الشعانين"، والجزء الثانى "يوم الاثنين وليلة الثلاثاء"، والجزء الثالث "يوم الثلاثاء"، والجزء الرابع "ليلة الخميس"، والجزء الخامس "الخميس الكبير"، والجزء السادس "ليلة الجمعة"، وهذا هو الجزء السابع "يوم الجمعة العظيمة" وقد قام نيافة الحبر الجليل الأنبا بيشوى بمراجعة هذه العظات وصياغتها. وبمشيئة الرب سيصدر مجلد يجمع السبعة أجزاء معًا ومعها الجزء الثامن الخاص بالقيامة.

ليجعل الرب هذه الأجزاء سبب بركة للقارئ فى هذه الأيام المقدسة، وليعيد الرب هذه الأيام المقدسة والكنيسة فى سلام، بصلوات **صاحب القداسة البابا تواضروس الثانى ونيافة الحبر الجليل الأنبا بيشوى أطال الرب لنا حياتهما سنين عديدة وأزمنة مديدة.** راهبات دير القديسة دميانه ببرارى بلقاس

نهار الجمعة العظيمة

كانت ظلمة على كل الأرض

كانت ظلمة من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة حينما صُلب السيد المسيح.. "وَمِنَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ **كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ** إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ" (مت٢٧: ٤٥).. **لأن الطبيعة التى خلقها أرادت أن تحتج**، كما قال السيد المسيح لليهود حينما جاءوا للقبض عليه: "**هَذِهِ سَاعَتُكُمْ وَسُلْطَانُ الظُّلْمَةِ**" (لو٢٢: ٥٣). ونحن نقول فى القداس الإلهى عن السيد المسيح: {وفى آخر الأيام ظهرت لنا نحن **الجلوس فى الظلمة** وظلال الموت}، وقد تنبأ إشعياء النبى أيضًا قائلاً: "**اَلشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ** أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا. الْجَالِسُونَ فِي أَرْضِ **ظِلاَلِ الْمَوْتِ** أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ" (إش٩: ٢).

لقد عاش العالم فى ظلمة منذ سقوط آدم وحواء، وإن كانت الشمس قد استمرت فى الشروق يوميًا كى يستطيع البشر أن يمارسوا حياتهم الطبيعية.. ولكن فى الحقيقة كانت هناك ظلمة خيّمت على العالم كله، وكانت أرواح البشر تذهب إلى

الجحيم تحت سلطان الظلمة. فكان لابد أن يتضح أن هذه الظلمة موجودة فى الوقت الذى كان فيه السيد المسيح يوفى دين البشرية، مثلما ذُكر عنه فى سفر الرؤيا: "وَهُوَ يَدُوسُ مَعْصَرَةَ خَمْرِ سَخَطِ وَغَضَبِ اللهِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ" (رؤ١٩: ١٥). استمرت الظلمة ثلاث ساعات ولكن فى الحقيقة هذه الثلاث ساعات كانت تعبِّر عن الظلمة التى استمرت آلاف السنين، رغم أن البشر لم يدروا بفظاعة الظلمة الكائنة كل هذه السنوات. وإن كانت هناك المعاناة التى كانت البشرية تشعر بها خوفًا من الموت، وبالأكثر عندما تذهب الأرواح إلى الجحيم.. وعن ذلك قال معلمنا بولس الرسول: "فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ. **وَيُعْتِقَ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ**" (عب٢: ١٤، ١٥).

الشمس أيضًا قد أخفت شعاعها خجلاً، لأنهم عرُّوا السيد المسيح من ثيابه، فأعلنت الشمس خجلها من تعرية خالقها ولذلك أظلمت، مع أن عيد الفصح اليهودى يقع فى اليوم

الرابع عشر من شهر نيسان العبرى أى فى التوقيت القمرى، عندما يكون القمر فيه كاملاً، وحتى الآن يطلق الناس على القمر المكتمل ضوؤه كلمة "قمر ١٤" أى الرابع عشر من الشهر القمرى، ومن الناحية الفلكية عندما يكتمل ضوء القمر فهذا يعنى أن ظل الأرض غير واقع عليه أى أن الشمس والقمر متعامدان مع بعضهما بالنسبة للأرض بزاوية قائمة، ولا يمكن أن يكون القمر قد وقع بين الأرض والشمس بعد ظهر يوم ١٣ من الشهر. وكان يوم الجمعة هو يوم ذبح خروف الفصح ويوم السبت هو عيد الفصح عند اليهود أى أن الصلب كان فى الساعات السابقة مباشرة ليوم السبت الذى فيها كان "القمر ١٤" ويكون فى وضع من المستحيل فيه أن يحجب الشمس عن الأرض والذى يُدعى الخسوف الشمسى، وهذا يحدث أحيانًا ويشاهده العالم فى مناطق معينة. ولكن هذا كان من المستحيل أن يحدث يوم صلب السيد المسيح. **فكيف إذًا أظلمت الشمس؟!! هذه معجزة لا يمكن أن تحدث من الناحية الفلكية.. فهى معجزة خارقة للطبيعة**، وهذا ليس بعجيب أن يحدث مع السيد المسيح الذى أقام لعازر من القبر بعد موته بأربعة أيام.

بين السيد المسيح وآدم

ما فعله اليهود بالسيد المسيح هو عكس ما قد فعله هو مع آدم.. عندما مر السيد المسيح فى الفردوس بعد سقوط آدم فى المعصية، وعند هبوط ريح النهار اختبأ آدم وحواء منه: "وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلَهِ **مَاشِيًا** فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ **فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلَهِ** فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ. فَنَادَى الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ: "أَيْنَ أَنْتَ؟"[1] (تك٣: ٨، ٩)، أما آدم فقال له: "سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ" (تك٣: ١٠)، قال له السيد المسيح {ليس من عادتك أن تخاف عند سماع صوتى فما الذى حدث}.. "مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟" (تك٣: ١١) كنت أنت وحواء عريانين من قبل ولم تشعرا بهذا الخجل فما الذى جعلك تشعر بأنك عريان الآن؟ "هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟" (تك٣: ١١)، فظهر خزى عُريك وشعرت أنك عريان؟ لأنك أصبحت عريانًا من البر والنعمة.. ثم ذبح السيد المسيح

---

[1]) لم يكن السيد المسيح قد تجسد، فالسيد المسيح كان يظهر قبل التجسد ولكنه مجرد ظهور فقط وليس تجسد، وذلك كما حدث مع يعقوب إذ ظهر له إنسان وصارعه ليلة كاملة وقال يعقوب "قد نظرت الله وجهًا لوجه ونجيت نفسى" (انظر تك٣٢: ٢٤، ٣٠).

ذبائح وسلخها وصنع أقمصة من جلد واحدًا لآدم وآخر لحواء، طبعًا الجلد لكى يجف يعرضونه للشمس ويستغرق وقتًا ولكن عند السيد المسيح ليس شيء غير مستطاع، لأن الذى يخلق من العدم ويخلق من الطين ويمشى على الماء يقدر أن يجفف الجلد ويستر آدم وحواء. وقال له يا آدم إنك فى خجل من عريك وأنا سوف أستُرك بالذبيحة، ولكن **ستمر الأيام وستأتى الذبيحة الحقيقية على الصليب كى تكسو عُرى خطيتك**، أنت صنعت ثيابًا من ورق التين لتستر نفسك ولكن ورق التين سوف يجف ويسقط، وهذا هو رياء الإنسان، ولكن "بِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لاَ تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ" (عب٩: ٢٢)، **بدون ذبيحة لن تُستر الخطايا أبدًا.**

لكن العجيب أن هذا ما فعله السيد المسيح مع آدم عندما أخطأ

وأما بنو آدم -أولاده- فقد عروا السيد المسيح من ثيابه

وسمّروه على الصليب!!

فماذا تفعل الشمس لتستر خالقها؟!!

لقد أظلمت لكى تخفى هذا العرى

حينما لم يخجل البشر من أفعالهم البشعة..

خجلت الشمس بدلاً منهم

يخرج المأسورين من بيت السجن

هذا اليوم كان يومًا رهيبًا جدًا لأنه بعد أن سلّم السيد المسيح روحه على الصليب، وبعد اعتراف اللص اليمين على الصليب بالمسيح وقال: "اذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ" (لو٢٣: ٤٢، ٤٣).. صرخ السيد المسيح الصرخة الأخيرة وهى فى الحقيقة صرخة الانتصار عندما قال: "يَا أَبَتَاهُ فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي. وَلَمَّا قَالَ هَذَا أَسْلَمَ الرُّوحَ" (لو٢٣: ٤٦)، حينئذ "الأَرْضُ تَزَلْزَلَتْ وَالصُّخُورُ تَشَقَّقَتْ. والْقُبُورُ تَفَتَّحَتْ" (مت٢٧: ٥١، ٥٢)، لكن لم يقم القديسون فى وقتها ولكن فقط تفتحت القبور كى تكون مجهزة لخروجهم منها عند قيامتهم بعد قيامة السيد المسيح، حيث مكتوب: "وَقَامَ كَثِيرٌ مِنْ أَجْسَادِ الْقِدِّيسِينَ الرَّاقِدِينَ. **وَخَرَجُوا مِنَ الْقُبُورِ بَعْدَ قِيَامَتِهِ** وَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ وَظَهَرُوا لِكَثِيرِينَ" (مت٢٧: ٥٢، ٥٣).

فى وقت تسليم السيد المسيح الروح، دمر الجحيم ولذلك تفتحت قبور القديسين لأن القبور المغلقة كانت رمزًا للجحيم، كما يقول الآب للابن بلسان إشعياء النبى: "أَجْعَلُكَ عَهْدًا

لِلشَّعْبِ.... **لِتُخْرِجَ مِنَ الْحَبْسِ الْمَأْسُورِينَ مِنْ بَيْتِ السِّجْنِ الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ**" (إش٤٢: ٦، ٧)، ويقول معلمنا بطرس أيضًا عن السيد المسيح: "مُمَاتًا فِي الْجَسَدِ وَلَكِنْ مُحْيىً فِي الرُّوحِ، الَّذِي فِيهِ أَيْضًا **ذَهَبَ فَكَرَزَ لِلأَرْوَاحِ الَّتِي فِي السِّجْنِ**" (١بط٣: ١٨، ١٩)، فى أقسام الأرض السفلى حيث ذُكر فى الكتاب المقدس "إِنَّهُ نَزَلَ أَيْضًا أَوَّلاً إِلَى أَقْسَامِ الأَرْضِ السُّفْلَى" (أف٤: ٩).. فإذا كان السيد المسيح دخل السجن –أى الجحيم– وفتح الأبواب ودمر المتاريس فإن أبواب القبور التى هى بمثابة سجون للأموات قد تفتحت.

ذهب السيد المسيح إلى الجحيم بمجرد تسليمه للروح **ولذلك تزلزلت الأرض لأنه زلزل الجحيم** فى أقسام الأرض السفلى، فالطبيعة والأرض والحجارة استجابوا وأعلنوا ما لم يفهمه غالبية البشر.

وانشق حجاب الهيكل

"وانْشَقَّ حِجَابُ الْهَيْكَلِ إِلَى اثْنَيْنِ مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلُ" (مر١٥: ٣٨)، "وَإِذَا حِجَابُ الْهَيْكَل قَدِ انْشَقَّ إِلَى اثْنَيْنِ مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلُ" (مت٢٧: ٥١) **علامة على أن العداوة بين**

الله والإنسان قد زالت، وأن الكهنوت الهارونى قد انتهى زمانه هو والذبائح الحيوانية.

وفى الليلة السابقة كان رئيس الكهنة قد شق ثيابه وهى الصدرة التى يرتديها وعليها الاثنى عشر حجرًا والتى ترمز إلى أسباط إسرائيل الاثنى عشر، **وشق ثيابه يرمز أيضًا إلى أن الكهنوت اليهودى قد انتهى**، وقد فعل ذلك بيديه.. وبعد أن أكمل أفعاله الرديئة واستهزاءه بالسيد المسيح عند الصليب، ذهب إلى الهيكل فاستقبله الهيكل بأن حجابه قد انشق من فوق إلى أسفل علامة على أن العهد القديم قد انتهى وبدأ العهد الجديد.

يوم الرب العظيم الشهير

تنبأ يوئيل النبى عن هذا اليوم، ونبوته هذه موجودة فى سفر يوئيل، وأيضًا فى سفر أعمال الرسل حيث قال معلمنا بطرس الرسول: "بَلْ هَذَا مَا قِيلَ بِيُوئِيلَ النَّبِيِّ. يَقُولُ اللهُ: وَيَكُونُ فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ أَنِّي أَسْكُبُ مِنْ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ فَيَتَنَبَّأُ بَنُوكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَيَرَى شَبَابُكُمْ رُؤىً وَيَحْلُمُ شُيُوخُكُمْ أَحْلاَمًا. وَعَلَى عَبِيدِي أَيْضًا وَإِمَائِي أَسْكُبُ مِنْ رُوحِي فِي تِلْكَ الأَيَّامِ

فَيَتَنَبَّأُونَ" (أع٢: ١٦- ١٨)، وهذا حدث فى يوم الخمسين بعد قيامة السيد المسيح، ويكمل: "وَأُعْطِي عَجَائِبَ فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَآيَاتٍ عَلَى الأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ: دَمًا وَنَارًا وَبُخَارَ دُخَانٍ. تَتَحَوَّلُ الشَّمْسُ إِلَى ظُلْمَةٍ وَالْقَمَرُ إِلَى دَمٍ **قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمُ الشَّهِيرُ**. وَيَكُونُ كُلُّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ" (أع٢: ١٩-٢١).

نبوة يوئيل تتكلم عن يوم الصلب وعن يوم الخمسين فى نفس الوقت: ما دام يقول: في تلك الأيام.. أعطى عجائب في السماء من فوق وآيات على الأرض من أسفل، فهذا حدث عندما أظلمت الشمس، والقمر لم يعطِ ضوئه يوم الصلب. ونحن نعلم أن الأرض تدور ولذلك نرى فى النهار الشمس وفى الليل نرى القمر، فعندما نبعد عن الشمس ونقول: "إن الشمس غربت" تكون الأرض هى التى دارت، واتجهت ناحية القمر فنرى القمر مضيئًا لأن ضوء الشمس يقع عليه فينعكس الضوء. فالوضع الطبيعى عندما تختفى الشمس هو أن نرى القمر مضيئًا -وذلك حينما يكون القمر فى موعده كما أوضحنا- ولكن فى يوم الصلب كان القمر فى موعده الطبيعى -١٤/١٣ من الشهر- ومع ذلك لم

يضيء، لماذا؟ لأن الشمس أصلاً لا تظلم ولكنها تحتجب فقط بسبب أن الأرض تدور، ولكن لأن الشمس نفسها أظلمت فى هذا اليوم فكيف سيضئ القمر إذًا؟!!

تقول النبوة: "أُعْطِي عَجَائِب فِي السَّمَاء مِنْ فَوْقُ وَآيَاتٍ عَلَى الأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ" (أع٢: ١٩)، ومن العجائب التى حدثت على الأرض أن: "الأَرْضُ تَزَلْزَلَتْ وَالصُّخُورُ تَشَقَّقَتْ والْقُبُورُ تَفَتَّحَتْ" (مت٢٧: ٥١، ٥٢).. حدث كل هذا عندما قال السيد المسيح: "فى يديك أستودع روحى"!!

دم ونار وبخار دخان

"آيَاتٍ عَلَى الأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ: دَمًا وَنَارًا وَبُخَارَ دُخَانٍ" (أع٢: ١٩)، ورغم أنه هنا يتكلم عن يوم الخمسين لأنه يقول قبلها مباشرة: "أَسْكُبُ مِنْ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ"، والروح القدس حل يوم الخمسين على هيئة ألسنة منقسمة كأنها من نار، إلا أن **الروح القدس كان نارًا أيضًا فى يوم الجمعة العظيمة**.. لماذا؟ لأنه يقول فى النبوة "دم" ويقصد دم السيد المسيح، "ونار" فأين النار؟! يقول معلمنا بولس الرسول: "فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي **بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ بِلاَ**

عَيْبٍ" (عب٩: ١٤)، وعبارة "**بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ**" **يقصد بها الروح القدس.** عند تقديم الذبائح فى العهد القديم كانت تنزل نار من السماء لتلتهم الذبيحة **وهذه النار كانت ترمز إلى الروح القدس الذى أصعد ذبيحة السيد المسيح،** ولذلك نحن نقول فى القداس الإلهى {ليحل روحك القدوس علينا وعلى هذه القرابين} ونسجد فى وقت حلول الروح القدس على الخبز والخمر لكى يحولهم إلى جسد الرب ودمه.

الروح القدس هو الذى أصعد ذبيحة الصليب ولذلك يُقال في يوم الجمعة العظيمة لحن ⲫⲁⲓ ⲉⲧⲁϥ ⲉⲙϥ "فاى إيتاف إنف" وهو موجود فى ثيئوطوكية يوم الأحد طوال العام، ولكن يقال بلحن هائل ومختلف في يوم الجمعة العظيمة ومعناه: **{هذا الذى أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا فإشتّمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة}.**

كان نظام الذبائح فى الهيكل أن يقطعوا الذبيحة ويضعوها على المذبح، وأسفل الذبيحة يوضع خشب وحطب موقد بنار أو تأتى نار من السماء لتلتهم الذبيحة. ومعروف أنه عند شَى اللحوم يتصاعد منها دخان، ولذلك قال يوئيل النبى: "دَمًا وَنَارًا وَبُخَارَ دُخَانٍ" ويقول اللحن {اشتمّه أبوه الصالح وقت

المساء على الجلجثة}، وإن كانت ذبيحة الصليب لم تُحرق مثل ذبائح العهد القديم **ولكن النار هى نار الروح القدس،** وأما الرائحة فالآب ليس عنده أنف مثل التى لنا **ولكنه اشتمّه كرائحة روحية وهى رائحة الرضا والسرور** كما كان يقال عن ذبيحة المحرقة إن الله يتنسم رائحة الرضا والسرور (انظر لا ٣: ٥، لا ٨: ٢٨)، وكل هذا كان رمزًا لذبيحة الصليب.

فصحنا المسيح قد ذُبح لأجلنا

السيد المسيح قد ذُبح "**لأَنَّ فِصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لأَجْلِنَا**" (١كو٥: ٧)، لأن الجَلْد الشديد والمسامير وإكليل الشوك جعلوه ينزف دمًا كثيرًا جدًا، لدرجة أنه عندما طعنه الجندى بالحربة كان صدره مليئًا بالدم بسبب الجَلْد، لأن الكرباج الرومانى عبارة عن ثلاثة سيور من عصب البقر وكل سير ينتهى بقطعتين من المعدن، وكان المحكوم عليه بالجلد يُربط بزاوية قائمة ويكون ظهره مسطحًا، فيلف الكرباج عند الجلد به حول الظهر ليصل مع مؤخرته إلى الصدر. ولذلك كانت الشرايين التى تحيط بضلوع القفص الصدرى تتمزق، وكانت عقوبة الجلد تسمى عقوبة نصف الموت عند

الرومان، وهى ليست مثل الجلد اليهودى الذى هو أربعون جلدة إلا واحدة.

عندما بحث العلماء كفن السيد المسيح؛ فبعد أن حصروا عدد الجلدات تبين أنها كانت ١٢١ جلدة وتسببت فى حدوث ٧٢٦ ثقب فى جلده بخلاف ما كان على أعلى الذراعين فى منطقة احتراق جزء من الكفن –ليست ثقوب نافذة بل علامات دموية– ولكن الشرايين الداخلية تمزقت واستمر النزيف بعد الجلد وحتى ذهابه إلى الجلجثة إلى أن سمروه على الصليب ثلاث ساعات، وهو خلالها كان يرتكز على مسمار القدمين ويرفع جسده إلى فوق كى يستطيع التنفس، لأنه معلق من يديه فلا يستطيع أن يتنفس إلا إذا ارتكز على قدميه وفرد ركبتيه ورفع جسده، ويضطر أن يميل ويثنى ذراعه مع كل شهيق فى التنفس، وهذه الحركة مطلوبة على الأقل ١٥ مرة فى الدقيقة أى أن السيد المسيح قام بهذه الحركة ٢٧٠٠ مرة فى الثلاث ساعات التى قضاها على الصليب، كل هذا والشرايين ممزقة والنزيف يتزايد.

باختصار: السيد المسيح قد ذبح من الداخل، وما سال من دماء من يديه وقدميه كان قليلاً بالمقارنة بما نزف داخل

صدره. ولهذا عندما طعنه الجندى بالحربة بعد أن سلّم الروح بساعتين، وكان قبلها ثلاث ساعات على الصليب.. خرج الهيموجلوبين أى كرات الدم الحمراء أولاً لأن كثافته أكبر، وبعدها البلازما وهى السائل الأبيض الذى فى الدم، ولذلك يقول الكتاب المقدس "وَاحِدًا مِنَ الْعَسْكَرِ طَعَنَ جَنْبَهُ بِحَرْبَةٍ **وَلِلْوَقْتِ خَرَجَ دَمٌ وَمَاءٌ**" (يو١٩: ٣٤).. الماء بعضها ارتشاح من الرئتين (أوديما) نتيجة حدوث هبوط فى عضلة القلب، وأكثرها بلازما الدم لأن صدره كان مملوءًا بالدم إذ قد تصفى أكثر من نصف دمه، وعندما يفقد الإنسان أكثر من نصف دمه ويبذل مجهودًا كبيرًا لابد أن يحدث هبوط حاد لعضلة القلب إذ أن سرعة النبض تتضاعف بصورة كبيرة لتعويض النزيف. وهذا ما حدث عندما سلم السيد المسيح الروح.

لذلك فالسيد المسيح لم يمت مخنوقًا مثل اللصين، وفى الشريعة ممنوع أن تُقدم تقدمة مخنوقة وإنما يجب أن تكون مذبوحة. ولذلك قال معلمنا بولس الرسول: "**لأَنَّ فِصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لأَجْلِنَا**" (١كو٥: ٧)، **فلابد أن نفهم أنه قد ذبح ولكن ليس ذبحًا خارجيًا وإنما ذبحًا داخليًا**. ونسمع

أحيانًا أن إنسانًا قد حدث له نزيف داخلى تسبب فى وفاته، وحدوث نزيف داخلى يعنى أنه مذبوح ولكن من الداخل.

لذلك السيد المسيح عند تسليمه جسده ودمه للتلاميذ فى ليلة آلامه، قال عن دمه بعد أن شكر وبارك وقدس وحوَّله إلى دمه (ولكن تحت أعراض الخمر): "**هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا**" (مت٢٦: ٢٨)، وكلمة "**يُسفك**" تعنى أنه هو نفسه قال إنه **سيُذبح** وليس فقط سيُصلب، وهناك فرق بين أن يُصلب فقط وأن يُذبح؛ فاللصان ماتا خنقًا بسبب كسر أرجلهما وبذلك أصبحا معلقين من أيديهما والقفص الصدرى مشدودًا وكذلك عضلاته، وهى التى تقوم بعملية التنفس ولذلك لا يقدر الشخص فى هذه الحالة أن يتنفس، فيختنق بعد اثنتى عشرة دقيقة أو خمس عشرة دقيقة على الأكثر وقد أجريت تجارب ووضعوا أجهزة متخصصة للتأكد من هذه العملية.

لابد إذًا أن نفهم الفرق بين صلب السيد المسيح وصلب اللصين. لذلك عندما أرادوا أن يكسروا ساقى السيد المسيح وجدوا أنه قد سلم الروح، فجاء الجندى ومعه الحربة الرومانية –وهى طولها ٧٥ سم وعرضها ٥ سم وسمكها ٢,٥ سم

ومقطعها بيضاوى- وضربه لونجينوس بالحربة فى جنبه الأيمن فدخلت فى الرئة اليمنى وفى عضلة القلب وفى الرئة اليسرى ووصلت إلى كتفه من الداخل، أى دخلت فى الصدر بأكمله بزاوية، ولذلك كانت الفتحة كبيرة فنزل الدم المختزن داخل الصدر ثم الماء الذى هو البلازما والارتشاح المائى.

ولماذا فعلوا هذا؟ لكى يتأكدوا من أنه قد مات بدلاً من أن يكسروا الساقين، لأنه مكتوب فى التوراة: ".. **وَعَظْمًا لاَ تَكْسِرُوا مِنْهُ**" (خر١٢: ٤٦)، "لا يُبْقُوا مِنْهُ إِلى الصَّبَاحِ وَلا يَكْسِرُوا عَظْمًا مِنْهُ" (عد٩: ١٢)، **وتحققت النبوة..** فتم تكسير عظام اللصين وأما السيد المسيح فلم تكسر عظمة من عظامه.

وماذا أيضًا فى معنى "دم ونار"؟!

فى الواقع كان السيد المسيح يجوز فى نار العدل الإلهى، فالنار تطهر لذلك كان لابد لخطايانا أن تتطهر، طبعًا جسده كان وكأنه مشتعل بنار من شِدة الجَلد، و**كان يجوز فى نار العدل الإلهى ليوفى الدين.** ولهذا يسميه الكتاب المقدس "يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمُ الشَّهِيرُ" (أع٢: ١٩) وفى سفر ملاخى يسميه: "يَوْمِ الرَّبِّ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ" (ملا٤: ٥).

ما هو يوم الرب العظيم الشهير المخوف؟

هو يوم الصليب وتوابعه عبورًا بالقيامة والصعود ووصولاً إلى حلول الروح القدس فى يوم الخمسين على هيئة ألسنة نار، لأن الروح القدس يطهر. وفى المعمودية يكون هناك نار داخل المياه ولكنها لا تُرى لأن الروح القدس هو الروح النارى.

وأيضا يوم الرب العظيم الشهير هو يوم الدينونة عندما يأتى السيد المسيح فى نهاية العالم. لذلك يقول: "هَئَنَذَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ إِيلِيَّا النَّبِيَّ قَبْلَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ" (ملا٤: ٥). **فهل يوم الرب العظيم الشهير أو المخوف هو يوم صلب السيد المسيح أم هو يوم الدينونة؟!**

فى الحقيقة كلاهما هو يوم دينونة، ولكن السيد المسيح فى يوم الصلب هو الذى وفّى الدينونة وهو الذى دفع الدين، وأما فى اليوم الأخير فسوف يأتى ليميز الذين استفادوا من دفع الدين الذى عليهم، ليجعلهم عن اليمين، وأما الذين لم يستفيدوا فيجعلهم عن اليسار، لأن السيد المسيح فى يوم الدينونة سوف يجازى كل واحد حسب أعماله.

يوم الدينونة الأخير إذًا يختلف عن يوم الصلب؛ ولكن كلاهما يُسمى "يَوْمِ الرَّبِّ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ" أو "الشهير".

فى يوم الصلب قال اللص اليمين عبارة فقط من قلب تائب مؤمن دخل بعدها إلى الفردوس: "قَالَ لِيَسُوعَ: اذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ" (لو٢٣: ٤٢) قال له: "الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ" (لو٢٣: ٤٣).

فى يوم الصلب كان السيد المسيح شفيعًا إذ قال: "يَا أَبَتَاهُ اغْفِرْ لَهُمْ لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ" (لو٢٣: ٣٤)، أى: أيها الآب إذا تابوا سامحهم، وهذا ما حدث فى يوم الخمسين عندما وبّخ معلمنا بطرس السامعين، فبعض من اليهود الذين قالوا "اصلبه" كانوا موجودين، وأيضًا آخرون كانوا قد شكّوا فى السيد المسيح عندما تألم وصُلب، فنُخسوا فى قلوبهم "فَقَالَ لَهُمْ بُطْرُسُ: تُوبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ الْخَطَايَا فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (أع ٢: ٣٨)، وفعلاً ندموا على خطاياهم وتعمدوا.

ولكن عن يوم الدينونة يقول: "كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: **يَا رَبُّ يَا رَبُّ** أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟ فَحِينَئِذٍ أُصَرِّحُ لَهُمْ: إِنِّي

لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ!" (مت٧: ٢٢، ٢٣). ولماذا؟ لأن حياتهم ستكون قد انتهت على الأرض بدون توبة، كما قيل فى مثل العذارى الحكيمات: "وَأُغْلِقَ الْبَابُ" (مت٢٥: ١٠)، "وَفِيمَا أَبْطَأَ الْعَرِيسُ نَعَسْنَ جَمِيعُهُنَّ وَنِمْنَ. فَفِي نِصْفِ اللَّيْلِ صَارَ صُرَاخٌ: هُوَذَا الْعَرِيسُ مُقْبِلٌ فَاخْرُجْنَ لِلِقَائِهِ! فَقَامَتْ جَمِيعُ أُولَئِكَ الْعَذَارَى وَأَصْلَحْنَ مَصَابِيحَهُنَّ" (مت٢٥: ٥-٧)، عبارة "نَعَسْنَ جَمِيعُهُنَّ وَنِمْنَ" هنا تعنى رقدوا أو تنيحوا. وهو فى هذا المثل يتكلم عن أناس جميعهم مؤمنين، ولكن يوجد إيمان عامل بالمحبة ومرتبط بالأعمال الصالحة "يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ" (مت١٦ : ٢٧)، وإيمان غير عامل.. يدّعى فيه الشخص أنه مؤمن ولكن يتصرف ضد وصية الله.

مشهد الجلجثة العجيب

دعنا نقترب من مشهد الجلجثة لنرى لوحة فى منتهى العجب، ولنتأمله كمشهد فيه تناظُر مع يوم الدينونة الأخير:
لماذا قالت الكنيسة إن **اللص اليمين** هو الذى اعترف؟ رغم أنه لم يُذكر هذا صراحةً فى الإنجيل؟ هو فى التقليد

المتوارث، ولكن له مغزى واضح.. فقد قال السيد المسيح إنه فى يوم الدينونة سوف "**يُقِيمُ الْخِرَافَ عَنْ يَمِينِهِ وَالْجِدَاءَ عَنِ الْيَسَارِ**" **(مت٢٥: ٣٣)**، فمشهد الجلجثة هو مشهد قريب جدًا من مشهد يوم الدينونة الذى قال عنه: "وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ مَعَهُ فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ" (مت٢٥: ٣١)، ونقول فى المزمور "إن الرب قد ملك على خشبة" (مز٩٦: ١٠)[٢]، ونسمع اليوم اللحن الرائع "كرسيك يا الله إلى دهر الدهور" "**بيك إثرونوس**" وفيه نقول للسيد المسيح إن عرشك هو الصليب ونحن لا نستطيع أن نتجاهل أنك أنت الذى سوف تأتى فى اليوم الأخير وتجلس على عرش مجدك لتدين العالم كله.

"الرب ملك على خشبة"، والعرش الإلهى مكتوب عنه أن حوله أربعة أحياء غير متجسدين، والصليب له أربع نهايات.. عرش له أربعة اتجاهات.

أما المشهد الذى نريد أن نتأمله فقد رأينا فيه: إن الخراف على اليمين والجداء على اليسار. وماذا أيضًا؟!

---

[٢]) حسب الترجمة القبطية عن السبعينية.

نرى أيضًا السيدة العذراء ويوحنا الحبيب يقفان عند الصليب، السيدة العذراء التى قيل عنها: "جلستِ الْمَلِكَةُ عَنْ يَمِينِكَ" (مز٤٥ : ٩) نراها تقف عن يمين السيد المسيح تحت الصليب، "فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ أُمَّهُ وَالتِّلْمِيذَ الَّذِي كَانَ يُحِبُّهُ وَاقِفًا قَالَ لِأُمِّهِ: يَا امْرَأَةُ هُوَذَا ابْنُكِ. ثُمَّ قَالَ لِلتِّلْمِيذِ: هُوَذَا أُمُّكَ" (يو١٩: ٢٦، ٢٧)، وكان يوحنا الحبيب "التِّلْمِيذَ الَّذِي كَان يُحِبُّهُ" هو الوحيد من الرسل الاثنى عشر الذى كان واقفًا عند الصليب.. فيهوذا خنق نفسه وذهب إلى الجحيم وهلك، وأما باقى التلاميذ فكانوا قد هربوا. فما هو هذا المشهد؟! كان لابد أن يكون هناك واحد على الأقل من الاثنى عشر تلميذًا موجودًا عند الصليب. فهم تلاميذه الذين كان قد قال لهم: "أَنْتُمُ الَّذِينَ ثَبَتُّوا مَعِي فِي تَجَارِبِي.. تَجْلِسُوا عَلَى كَرَاسِيَّ تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الِاثْنَيْ عَشَرَ" (لو٢٢: ٢٨-٣٠). (طبعًا جاء متياس عوضًا عن يهوذا بعد ذلك ليكمل عدد التلاميذ الاثنى عشر)، ولكن كان لابد أن يُمثلوا ولو بواحد منهم عند الصليب لأنه مشهد يرمز للدينونة، وفيه دينونة لأن السيد المسيح يدفع دينونة العالم كله، ولكن من يؤمن هو الذى ينتفع به.

محوران لطلب غفران الخطايا

عند الصليب نرى السيدة العذراء ويوحنا الحبيب:

السيدة العذراء هى الشفيعة المؤتمنة عن جنس البشر لذلك لابد أن تكون عن يمين الملك كما يقول المزمور: "جلستِ الْمَلِكَةُ عَنْ يَمِينِكَ" (مز ٤٥ : ٩).

أما يوحنا الحبيب فكان يمثل كهنوت العهد الجديد.

كيف نطلب غفران خطايانا؟ نطلبه على محورين..

المحور الأول: هو أننا نطلب شفاعة العذراء والقديسين ليسهلوا لنا طريق التوبة ونقول لها: {اشفعى فينا يا سيدتنا كلنا يا والدة الإله مريم أم مخلصنا ليغفر لنا خطايانا} ونلاحظ أننا نستخدم كلمة "اشفع" أو "اشفعى" بالنسبة للعذراء والملائكة، وأما القديسين فنقول لهم [اطلبوا من الرب عنا]، ولكن يوحنا الحبيب بالذات نقول له مثل العذراء ومثل يوحنا المعمدان: {اشفع فينا}.

إذًا المحور الأول للغفران هو: شفاعة القديسين وهى شفاعة توسلية.

لكن السيد المسيح هو الذى قدّم نفسه كفارة عن خطايا العالم "وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ" (١يو ١: ٧) **إذن فالكفارة هى بدم السيد المسيح.**

فما فائدة يوحنا هنا؟

هذا هو المحور الثانى: يوحنا هنا يمثل الكهنوت، فمن الذى سيقوم بعمل القداسات؟! من الذى سيقدم جسد المسيح ودمه فى الكنيسة كامتداد لذبيحة الصليب الكفارية إلا خلفاء الرسل: رؤساء الكهنة والكهنة على امتداد الأجيال؟!! فوجود يوحنا الحبيب بجانب الصليب فى مشهد الدينونة يعنى أن الكهنوت يتشفع على المذبح. وعندما يمر الأسقف أو الكاهن بالشورية فى وسط الشعب ويعود إلى المذبح يقول: {يا الله الذى قبل إليه اعتراف اللص على الصليب **اقبل إليك اعتراف شعبك واغفر لهم خطاياهم}** لأن الكاهن **يكون قد أخذ اعترافات الشعب** فى العشية السابقة للقداس ثم يلف بالبخور وكأنه يقول لهم "صلوا لكى يغفر الله لكم خطاياكم"، فالشورية تلف وكأنها تجمع صلوات الشعب الذى يقول "يا رب سامحنا" ثم يرفعها على المذبح ويقول سر الرجعة الذى ذكرناه.

وفى القداس يصلى الكاهن لكى يحل الروح القدس، ويقدم دم السيد المسيح للشعب لكى يطهرهم من خطاياهم. الأباركة تحتوى على نسبة من الكحول وهو قابل للاشتعال وفى نفس الوقت مطهّر ويمثل النار المطهرة. ولا نقدر أن نقيم القداس بعصير العنب فقط وإنما يجب أن يكون زبيبًا معصورًا **ومختمرًا ويه نسبة كحول** ولكن لا يكون مُسكرًا لأن نسبة الكحول تكون محدودة. وهنا يأتى سؤال ما فائدة الكحول؟ وللإجابة نذكر أنه إذا أُصيب أحد بجرح يضع كحول لكى يطهّر الجرح، وفى مثل السامرى الصالح –الذى مر على الشخص الملقى وقد جرحه اللصوص– يذكر: "سَامِرِيًّا مُسَافِرًا جَاءَ إِلَيْهِ وَلَمَّا رَآهُ تَحَنَّنَ. فَتَقَدَّمَ وَضَمَدَ جِرَاحَاتِهِ وَصَبَّ عَلَيْهَا زَيْتًا **وَخَمْرًا** وَأَرْكَبَهُ عَلَى دَابَّتِهِ وَأَتَى بِهِ إِلَى فُنْدُقٍ وَاعْتَنَى بِهِ" (لو١٠: ٣٣، ٣٤)، لماذا وضع هذا الخمر؟ لكى يطهر الجرح. ونحن عندما نتناول من الدم نشعر بطعم لسعة بسيطة وهذه اللسعة بسبب الكحول المطهر مثلما يطهرنا دم المسيح من الخطية، ثم نشعر بطعم حلو مع هذه اللسعة وهذا الطعم يمثل حلاوة محبة ربنا.

دم السيد المسيح الذى نتناوله هو محبة الله وعدله معًا.. محبته جعلته يصنع الخلاص من أجلنا، والعدل الإلهى جعله يكفر عن الخطايا بأن يتم وفاء الدين.. فهو غفران مدفوع الثمن.. وثمنه غالى جدًا، لكى نعرف قيمته ولكى لا نخطئ مرة أخرى.

ما الذى يجعل الإنسان يكره الخطية؟! عندما ينظر الإنسان إلى آلام السيد المسيح يقول كل هذه الآلام بسبب خطاياى!! فيكره الخطية. حقًا نحن نتناول من دم السيد المسيح ولكن يجب أن يكون لدينا شعور بالخجل من خطايانا ونتقدم بتوبة لأنه يقول: "إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذَلِكَ تَهْلِكُونَ" (لو١٣: ٣).

الفادى هو هو نفسه الديان

الفادى في المجيء الأول هو نفسه الديان في المجيء الثانى، ففى الجلجثة وإن كان المنظر صعبًا ولكن بروح وبعين التأمل نرى فيها منظرًا آخرويًا.. نرى اليوم الأخير عندما يأتى السيد المسيح على سحاب السماء –كما هو معلق في يوم الجمعة العظيمة فى الهواء على الصليب فى الجلجثة– لكى يدين العالم كله. **في هذا اليوم هو شفيع**

ولكن فى اليوم الأخير يكون هو الديان، ويصاب الأشرار وغير المؤمنين وغير التائبين بالهلع، ومكتوب عنهم أنهم "يَقُولُونَ لِلْجِبَالِ وَالصُّخُورِ: اُسْقُطِي عَلَيْنَا وَأَخْفِينَا عَنْ وَجْهِ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ **وَعَنْ غَضَبِ الْحَمَلِ، لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ يَوْمُ غَضَبِهِ الْعَظِيمُ.** وَمَنْ يَسْتَطِيعُ الْوُقُوفَ؟" (رؤ٦: ١٦، ١٧) فمن هو هذا الحمل؟ هو السيد المسيح الذى هو "حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ" (يو١: ٢٩) والذى كتب عنه إشعياء النبى: "كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ" (إش٥٣: ٧). السيد المسيح الطيب الوديع الذى كان يحب العشارين والخطاة ويجول يصنع خيرًا سوف يكون مخيفًا جدًا فى اليوم الأخير. هو أطيب شخصية عرفتها البشرية وهو أكثر شخصية مخيفة سوف تعرفها البشرية. **هو هو نفسه الفادى فى مجيئه الأول، وهو أيضًا الديان فى مجيئه الثانى.** وبقدر حبه بقدر عدله، لذلك نقول فى المزمور: "الرَّحْمَةُ وَالْحَقُّ تلاَقَيَا. الْعدلُ وَالسَّلاَمُ تَلاَثَمَا" (مز٨٥: ١٠)، أى أن العدل والسلام تقابلا على الصليب، الدينونة والغفران فى وقتٍ واحد.

أمانة اللص

قال اللص للسيد المسيح على الصليب "اذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ **فِي مَلَكُوتِكَ**" (لو٢٣: ٤٢) فأصلح له السيد المسيح التعبير: "قَالَ لَهُ يَسُوعُ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي **فِي الْفِرْدَوْسِ**" (لو٢٣: ٤٣).. وكأنه يقول له [الملكوت لم يأتِ وقته بعد وإنما اليوم تكون معى فى الفردوس، وفى الملكوت أيضًا سوف تكون معى ولكن لن أتركك حتى يأتى الملكوت، أنت تسأل عن الملكوت وهو سيأتى أيضًا ولكن بعد الدينونة، أما اليوم فتكون معى فى الفردوس] لذلك ذكرت لكم أن هناك ارتباطًا شديدًا بين اليومين.. يوم الصليب ويوم الدينونة.

نزل اللص اليمين إلى الجحيم لكى يتم فيه حكم الموت الأبدى ثم أخرجه السيد المسيح مع باقى الذين أخرجهم على ثلاث دفعات.

ليتنا نراجع أنفسنا

هذا هو هدف الكنيسة من صلوات يوم الجمعة العظيمة بكل ما فيها من الألحان الحزينة والعظيمة والقراءات والوعظ،

فهو أسبوع ممتلئ من بداية سبت لعازر وحتى يوم عيد القيامة.. الهدف من هذا كله أن يفكر كل شخص فى وسط كل هذه الأحداث وهذا الجو الروحى ويبحث عن أبديته وخلاص نفسه.

الكنيسة تقدم أسبوعًا هدية لكل شخص كى يراجع نفسه ويفكر ما هو موقفه فى يوم الدينونة وهل سيكون مع اللص اليمين أم مع اللص اليسار أم أين!! فكل ما قيل وذكر من ألحان مؤثرة أو قراءات أو وعظ أو طقوس هو من أجلنا نحن

عظة أخرى يوم الجمعة العظيمة

التكفين والدفن

تكلمنا اليوم عن صلب السيد المسيح، ونتكلم عما بعد الصلب. حيث سلّم السيد المسيح الروح على الصليب وبعدها جاء الدفن، وموضوع الدفن يقول عنه القديس غريغوريوس فى القداس الإلهى: **{قتلت خطيتى بقبرك}**، ومعنى ذلك أن السيد المسيح سمَّر الخطية على الصليب وليس فقط سمَّرها ولكن دفنها أيضًا. مكث السيد المسيح فى القبر ثلاثة أيام لكى يعرفنا أن الخلاص هو من عمل الثالوث القدوس. ومن الجميل أن القبر والأكفان كليهما كانا بصفة سُلفة. ولماذا؟! لأن الموت الذى ماته السيد المسيح لا يخصّه هو، بل يخصنا نحن. ولذلك ترك القبر فارغًا، وترك الكفن أيضًا وعليه تذكار آلامه وصلبه وقيامته. فالكفن طُبِعَت عليه صورة السيد المسيح: رأسه ووجهه وظهره، لأن الكفن كان تحت الظهر وعلى الوجه والصدر وحتى القدمين من فوق ومن تحت ولذلك طُبعت الصورة من فوق ومن تحت أيضًا.

ولكن كيف طبعت؟! طُبعت بأشعة فائقة للطبيعة، لأن الصورة سلبية negative ولكى تظهر يُطبع الـ negative

لها وتظهر الإيجابية positive ثلاثية الأبعاد فتظهر صورة السيد المسيح. هذا القبر الفارغ شهادة على أن هذا الموت لا يخصه هو، وكذلك الكفن أيضًا. ولكنه ترك فيه برهان صلبه وموته وقيامته من الأموات.

القبر لم يكن قد وُضع فيه أحد من الناس أبدًا، وكان الإنجيل صريحًا فى حديثه حول هذا الموضوع إذ ذكر: "فِي الْبُسْتَانِ قَبْرٌ جَدِيدٌ **لَمْ يُوضَعْ فِيهِ أَحَدٌ قَطُّ**" (يو١٩: ٤١). لماذا؟ لأن موت السيد المسيح ليس مثل أى موت آخر، كما يقول معلمنا بولس الرسول: "إِنْ كُنَّا قَدْ صِرْنَا **مُتَّحِدِينَ مَعَهُ بِشِبْهِ مَوْتِهِ** نَصِيرُ أَيْضًا بِقِيَامَتِهِ" (رو٦: ٥)، فحتى نحن فى سر المعمودية لم يقل إننا نتحد معه فى موته ولكن **بشبه موته:** لا يستطيع أحد أن يموت الموت الذى ماته السيد المسيح أبدًا.. لأن موته أبطل عز الموت، وداس الموت وسحقه، ولذلك كان ينبغى أن يكون القبر الذى وضع فيه "قَبْرٌ جَدِيدٌ لَمْ يُوضَعْ فِيهِ أَحَدٌ قَطُّ" (يو١٩: ٤١). وليس هذا فقط بل وأيضًا **لا يكون فيه رائحة الموت،** لأن موته محيى فيكون فيه رائحة حياة.. "لأَنَّنَا رَائِحَةُ الْمَسِيحِ الذَّكِيَّةِ لِلَّهِ، فِي الَّذِينَ يَخْلُصُونَ وَفِي الَّذِينَ يَهْلِكُونَ. لِهؤُلاَءِ رَائِحَةُ مَوْتٍ لِمَوْتٍ،

وَلأُولَئِكَ رَائِحَةُ حَيَاةٍ لِحَيَاةٍ" (٢كو٢: ١٥، ١٦). القبر كان يفوح بالروائح الطيبة مثلما قال السيد المسيح عن المرأة ساكبة الطيب: "قَدْ سَبَقَتْ وَدَهَنَتْ بِالطِّيبِ جَسَدِي لِلتَّكْفِينِ" (مر١٤: ٨)، سواء المذكورة فى قراءات البصخة يوم السبت مساءً أو الثلاثاء مساءً.. رائحة "نَارِدِينٍ خَالِصٍ كَثِيرِ الثَّمَنِ" (مر١٤: ٣)، مثلما تقول النبوءة "مَادَامَ الْمَلِكُ فِي مَجْلِسِهِ أَفَاحَ نَارِ دِينِي رَائِحَتَهُ" (نش١: ١٢).. "رَائِحَةُ الْمَسِيحِ الذَّكِيَّةِ" (٢كو٢: ١٥)، ولذلك لم يكن ممكنًا أن تكون فى القبر رائحة الموت، ولا عظام ميت لأن هذا القبر هو الشاهد للحياة وليس الشاهد للموت. مع أن السيد المسيح قد مات فعلاً ودُفن ولكن القبر الفارغ الذى فيه رائحة الحياة يشهد للحياة، فمعلمنا بولس الرسول يقول: "ابْتُلِعَ الْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ، أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكِ يَا هَاوِيَةُ؟!" (١كو١٥: ٥٤، ٥٥).

البِكْر فى كل شيء

السيد المسيح هو "**بَاكُورَةَ الرَّاقِدِينَ**" (١كو١٥: ٢٠). ولذلك كان يلزم أن يكون **قبره بكرًا أيضًا.. فهو:**

* "**الْبِكْرِ مِنَ الأَمْوَاتِ**"(رؤ١: ٥).

* **هو البكر فى طاعته الكاملة لله الآب السماوى..** عندما أخطأ رأوبين وشمعون ولاوى تحولت البكورية إلى يهوذا الذى جاء منه السيد المسيح.. وعندما أخطأ آدم وكل نسله تحولت البكورية إلى السيد المسيح "**لِيَكُونَ هُوَ بِكْرًا** بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ" (رو٨: ٢٩)، "مَتَى **أَدْخَلَ الْبِكْرَ** إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ اللهِ" (عب١: ٦).

* **هو البكر من الآب قبل كل الدهور، من حيث لاهوته وليس له أخوة. حتى الروح القدس غير مولود ولكنه منبثق ومساوى.**

* **وهو البكر من** العذراء **فى ملء الزمان،** وهو البكر فى ولادته **من عذراء بكر** دائمة البتولية.. عذراء قبل الحبل وأثناء الحبل وبعد الولادة.. **بتوليتها مختومة؛** وكما أن قبر السيد المسيح لم يدفن فيه أحد غيره فكذلك أيضًا رحم السيدة العذراء لم يدخل فيه أحد آخر، فهذا هو الباب الذى كُتِبَ عنه فى سفر حزقيال النبى: "بَابِ الْمَقْدِسِ الْخَارِجِيِّ الْمُتَّجِهِ لِلْمَشْرِقِ وَهُوَ مُغْلَقٌ. فَقَالَ لِيَ الرَّبُّ: **هَذَا الْبَابُ يَكُونُ مُغْلَقًا، لاَ يُفْتَحُ وَلاَ يَدْخُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ دَخَلَ مِنْهُ فَيَكُونُ مُغْلَقًا**" (حز٤٤: ١، ٢).

* **وهو البكر فى صعوده إلى السماوات..** الموضع الذى لم يدخل إليه ذو طبيعة بشرية، حيث قال السيد المسيح: "أَنَا أَمْضِي لِأُعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا. وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَانًا آتِي أَيْضًا وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا" (يو١٤: ٢، ٣). فالسماوات العليا لم يدخل إليها أحد قط، لذلك فالقديس يوحنا اللاهوتى فى سفر الرؤيا رأى الأربعة أحياء غير المتجسدين حول العرش والأربعة والعشرين سفيرًا (شفيعًا) وفى وسط العرش خروف قائم كأنه مذبوح (انظر رؤ٥: ٦).. فلم يرَ السيدة العذراء ولا أيًا من القديسين هناك، لماذا؟ لأن الذى رآه كان العرش السماوى وليس الفردوس، فعبارة "جلَستِ الْمَلِكَةُ عَنْ يَمِينِكَ" (مز٤٥: ٩) ستُطبق عندما يأتى السيد المسيح ويأخذ الكنيسة وتدخل معه الكنيسة كعروس إلى الأمجاد السمائية.

لأنه هو البكر فى كل شيء.. كان يجب أن يكون قبره بكرًا، "قَبْرٌ جَدِيدٌ لَمْ يُوضَعْ فِيهِ أَحَدٌ قَطُّ" (يو١٩: ٤١). والأجمل من هذا أنه حتى بعد قيامته لم يوضع فيه أحد قط، فهو مزار يتمنى كل أحد فى العالم أن يأخذ بركته، وقد جاءت الإمبراطورة هيلانة وأخرجت خشبة الصليب ووضعوا شخصًا

ميتًا –كانوا مارين به لدفنه– على الخشبة فقام فعرفوا أى من الصلبان الثلاثة التى وجدوها هو صليب السيد المسيح، وبالمناسبة: الصلبان الثلاثة لم تكن موضوعة فى قبر السيد المسيح، وعندما زرنا كنيسة القيامة فى القدس هناك سلالم ننزل بها إلى أسفل ويوجد مغارة وهناك كنيسة اسمها "كنيسة المغارة" وهى التى كان ملقى فيها الصلبان الثلاثة. وقبة كنيسة المغارة موضعها فى وسط حوش دير السلطان فى القدس، وحول فناء هذه القبة توجد قلالى الرهبان الأقباط والأثيوبيين. ولكن قبر السيد المسيح موضعه داخل كنيسة القيامة، وهو بالقرب من الجلجثة.. وكل هذا تحت القبة الكبيرة التى لكنيسة القيامة بما فى ذلك الجلجثة نفسها، وما زال يوجد جزء من الحجر الذى كان على باب القبر، ويأخذ الزائرون بركته قبل دخول القبر وتوجد شموع تضاء خارج القبر عند الموضع الذى فيه هذا الجزء من الحجر.

ما أريد أن أقوله هو أن قبر السيد المسيح لم يدفن فيه أى شخص لأن اليهود قاموا بردمه، وقد سمح الله بهذا حتى لا يدفن أحد فيه، إلى أن جاءت الأيام التى فيها أعلن الإمبراطور قسطنطين منشور التسامح الدينى سنة ٣١٣م في

ميلانو وكانت قد آمنت أم الإمبراطور –أى الإمبراطورة هيلانة– بالمسيحية، وقد كانت إنسانة فاضلة جدًا وهى التى قامت ببناء كنيسة القيامة فى القدس، واكتشفت خشبة الصليب، وقامت ببناء قبر ودير القديسة دميانه المجاور للقبر وليس الدير الرهبانى الذى فى التل الأثرى، وتقابلت مع القديس البابا ألكسندروس وطلبت منه أن يأتى ويدشن الكنيسة وحضر وكان بصحبته القديس أثناسيوس الشماس الخاص المرافق له.

القبر وكنيسة القيامة

عندما اكتشفت الإمبراطورة هيلانة القبر جعلته مزارًا على الفور وقامت ببناء كنيسة القيامة، وقبة كنيسة القيامة لا يتخيل أحد حجمها.. إذا كان جبل الجلجثة فى داخل الكنيسة، فكم يكون حجم قبة الكنيسة؟! وأيضًا فى داخلها كنيسة كبيرة أخرى تسمى كنيسة "وسط الدنيا" وهى أمام القبر مباشرةً وهى بقبتها وبكل شيء فيها تقع فى داخل كنيسة القيامة وأيضًا الجلجثة بكنيستها وسلالمها الحجرية والقبر ومزارات أخرى كثيرة داخل كنيسة القيامة وهو الأمر الذى

يصعب وصفه. ولكن ما يهمنا فى هذا الموضوع الآن هو أن **قبر السيد المسيح بكر قبل الدفن وظل بكرًا إلى يومنا هذا،** لماذا؟! لأن المكان الذى يخص السيد المسيح سواء فى ميلاده أو فى دفنه لا يشاركه فيه آخر على الإطلاق.. ليس له نظير. كما يقول المزمور: "**أَنْتَ أَبْرَعُ جَمَالاً مِنْ بَنِي الْبَشَرِ**" (مز ٤٥: ٢).

البشرى الأولى للقيامة كانت من داخل القبر

أما النسوة فلما رأين أنه لم يتسع الوقت لأحد لوضع أطياب سائلة على جسد السيد المسيح؛ أردنَ أن يحنطنه –أى يطيبونه– "بَعْدَمَا مَضَى السَّبْتُ اشْتَرَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ وَسَالُومَةُ حَنُوطًا لِيَأْتِينَ وَيَدْهَنَّهُ" (مر ١٦ : ١)، وهل يحنطون رب الحياة؟!! وهو الذى قال على لسان داود النبى فى النبوة "**لأَنَّكَ لا تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْجحيم، ولا تَدَعَ قُدُّوسَكَ يَرَى فَسَادًا**"؟! (مز ١٦: ١٠).

فى الحقيقة وإن كان القبر هو مكان للدفن ولكن **بدأت بشرى القيامة من داخل القبر، أى انطلقت بشرى الحياة من هذا**

القبر، وكان هو الشاهد على القيامة لكل من يريد أن يؤمن.. **القبر الفارغ علامة أن الحياة قد انتصرت على الموت.**

الأختام وتوثيق موته وقيامته

"فَمَضَوْا وَضَبَطُوا الْقَبْرَ بِالْحُرَّاسِ وَخَتَمُوا الْحَجَرَ" (مت ٢٧ : ٦٦).. سمح الله أن توضع أختام على القبر لكى **يوثِّق حادثة موت السيد المسيح توثيقًا رسميًا** وليس فقط فى قرار بيلاطس الذى كتبه ووقعه وختمه بختم الدولة الرومانية، **وتم توثيق القيامة** أيضًا لأن الأختام والحراس على القبر كانوا دليل القيامة.

ليس فقط موته وقيامته قد تم توثيقهما، ولكن أيضًا ميلاده لأن فى الاكتتاب الذى حدث فى أيام أوغسطس قيصر، الجميع اكتتبوا والسيد المسيح وُلد أثناء الاكتتاب "وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ صَدَرَ أَمْرٌ مِنْ أُوغُسْطُسَ قَيْصَرَ بِأَنْ يُكْتَتَبَ كُلُّ الْمَسْكُونَةِ. وَهَذَا الاِكْتِتَابُ الأَوَّلُ جَرَى إِذْ كَانَ كِيرِينِيُوسُ وَالِيَ سُورِيَّةَ" (لو٢: ١، ٢). فالذى كان يريد أن يعرف أن السيد المسيح ولد فى بيت لحم وأن أمه هى مريم ابنة يواقيم وأبوه – من الناحية الرسمية فقط وليس من الناحية الحقيقية– كان هو

يوسف ابن يعقوب.. كان يذهب إلى والى سورية وينظر فى السجلات فيجد أن السيد المسيح قد تم تسجيل رسمى لميلاده، وأنه ولد فى بيت لحم اليهودية وليس فى الناصرة.

فالأحداث التى حدثت فى ختم القبر كانت توثيقًا لموت السيد المسيح، لأن من الممكن أن يصدر حكم بإعدام شخص ولكن الحكم لا ينفذ، **ولكن ختم القبر كان توثيقًا لموته الحقيقى**؛ ولذلك دعا بيلاطس قائد المئة وتأكد منه أن السيد المسيح قد مات قبل أن يسلم الجسد ليوسف الرامى.

يوسف الرامى واهتمامه بجسد الرب

"جَاءَ يُوسُفُ الَّذِي مِنَ الرَّامَةِ مُشِيرٌ شَرِيفٌ وَكَانَ هُوَ أَيْضًا مُنْتَظِرًا مَلَكُوتَ اللَّهِ فَتَجَاسَرَ وَدَخَلَ إِلَى بِيلاَطُسَ وَطَلَبَ جَسَدَ يَسُوعَ" (مر١٥: ٤٣)، يستحق يوسف الرامى الشكر على شجاعته، وهو كان تلميذًا ليسوع المسيح ومنتظرًا ملكوت الله.. هذا التلميذ بالذات كان لديه الشجاعة أن يذهب ويطلب جسد يسوع ويتحدى كل الأمة اليهودية بما فعل؛ ويعتبر من الذين آمنوا إيمانًا قويًا جدًا ولم يهتز إيمانه بسبب موت السيد

المسيح، ولذلك **استطاع أن ينال هذا الشرف العظيم أن يحمل جسد الرب ويضعه فى القبر.**

وقد خلّد التاريخ اسمه وسوف يُخلَّد هذا العمل العظيم، أى اهتمامه بجسد يسوع.

ترى يا يوسف ما الذى جعلك تهتم بالجسد فى الوقت الذى فيه كان قبر اللصوص مفتوحًا؟!! ونبوة إشعياء النبى تقول: "جُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ" (إش٥٣: ٩).

وما فائدة الجسد بعد أن مات؟!

بلا شك كان يوسف الرامى يعرف قيمة هذا الجسد ولذلك اشترى كتانًا ولفه به ووضعه فى القبر وعرّض نفسه لمخاطر كثيرة فى هذا الأمر. **ولكن الذى يعرف قيمة جسد يسوع سيستحق هذا الشرف العظيم مع يوسف الرامى،** أى الذى يتقدم للتناول وهو يعرف قيمة التناول، ولذلك قال معلمنا بولس الرسول: "لِيَمْتَحِنِ الإِنْسَانُ نَفْسَهُ وَهَكَذَا يَأْكُلُ مِنَ الْخُبْزِ وَيَشْرَبُ مِنَ الْكَأْسِ. لأَنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ بِدُونِ اسْتِحْقَاقٍ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ دَيْنُونَةً لِنَفْسِهِ غَيْرَ مُمَيِّزٍ جَسَدَ الرَّبِّ" (١كو١١: ٢٨، ٢٩).

عرف يوسف الرامى قيمة جسد السيد المسيح، والذى يعرف قيمة جسد السيد المسيح لا يخطئ بعد أن يتناول.

تُرى هل كان لدى يوسف الرامى ثقة وإيمان فى قيامة هذا الجسد؟!

لم يعلن الكتاب المقدس شيئًا بخصوص هذا الموضوع، ولكنه على الأقل كان يعلم أنه مكتوب فى الكتاب: "لاَ تَدَعَ قُدُّوسَكَ يَرَى فَسَادًا" (مز١٦: ١٠). فعلى الأقل كان يعلم أن هذا الجسد لن يفسد.

من المؤكد أن فرحته بالقيامة كانت عظيمة جدًا سواء كان واثقًا منها أو كان يتمناها. تُرى ماذا قال له السيد المسيح بعد القيامة؟ بلا شك شكره على كل ما عمله، ولكن السيد المسيح لم يكتفِ بالكلام الشفوى –ولو أنه لم يتم تسجيله فى الإنجيل– **لكنه ترك له رسالة انبهر بها العالم كله ولا زال منبهرًا وهى أنه طبع له صورته بالكامل وبكل قصة الآمه وصلبه على الكفن الذى أحضره وقام بلف جسد السيد المسيح به.**

السيد المسيح استعار الكفن

ولكنه لم يرجعه له فارغًا

بل أرجعه له وفيه كنز من أعظم الكنوز

التى عرفتها الكنيسة على مر التاريخ

ولازال هذا الكنز يشهد لموت المسيح وقيامته من خلال أحدث الأبحاث العلمية التى أُثبتت أن قماش الكفن بعد غسله من كربون الحريق يعود تاريخه بالفعل إلى القرن الأول الميلادى.

دير القديسة دميانه بالبرارى

الأسبوع المقدس

الجزء السابع

يوم الجمعة العظيمة

البصخة المقدسة

بقلم

الأنبا بيشوى

مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى

ورئيس دير القديسة دميانه ببرارى بلقاس

العظيمة

لعميقة

هذه الأحداث

اص نفسه..

شخص

وم الدينونة

ص اليسار!!

قية

نه